

## يحيى يخلف: فلسطين لها الريادة في مجال الرواية

الثقافة الفلسطينية بشكل عام، والرواية خصوصا، منفتحتان على التنوع والاختلاف



ملتقى فلسطين للرواية يطرح أهم القضايا الأدبية

وأهميته الكبرى اليوم، ما يخوله ليكون فعلا ديوان العرب الجديد. وإثر الندوة النقدية تم تكريم المشاركين في اختتام فعاليات الملتقى، في المكان نفسه.

### هناك جيل من الروائيين أعاد تأسيس الرواية الفلسطينية وطورها فمألت المشهد الثقافي العربي والإنساني

وقد افتتح الملتقى أشغال دورته الجديدة الإثنين 8 يوليو، حيث يتزامن هذا التاريخ مع ذكرى استشهاد الروائي والمناضل الفلسطيني غسان كنفاني.

الطيب صالح، كاول رواي فلسطيني يحصل على الجائزة، ليوضع اسمه بجانب عمالقة الأدب العربي وهم: عبد الرحمن منيف وصنع الله إبراهيم وإيوارد الخراط وإبراهيم الكوني والطيب صالح وبهاء طاهر.

هذا وقد اختتم ملتقى فلسطين الثاني للرواية الجمعة 12 يوليو، حيث عقد ندوة ختامية بعنوان "هل باتت الرواية ديوان العرب؟"، في قاعة فندق كراون بحي الطيرة في مدينة رام الله، وذلك بمشاركة كل من الروائي السوداني طارق الطيب، والروائي الفلسطيني حسين ياسين، والروائي السوري خليل النغمي، والشاعر السوري الكردي مروان علي، بإدارة ومشاركة الروائي الفلسطيني أحمد رفيق عوض. وتطرق فيها المتدخلون إلى جنس الرواية

وتفتح نوافذها على ثقافات العالم، وتدعم الثقافات المهتدة، وقد وقعنا على بيان التنوع العالمي الذي صدر عن منظمة اليونسكو 2001، بل شاركنا في صياغته وكنا وقتها نشارك بها كعضو مراقب.

وأضاف "لكننا لا نعتبر الآخر الإسرائيلي العنصري المحتل لأرضنا، والذي صنع نكبتنا والمتكرر لحقوقنا وهويتنا والمعادي للسلام، والذي ينشر ثقافة الموت والتمييز العنصري، يمثل جزءا من ذلك التنوع الثقافي، ولا نعتبره جزءا من الأخلاقيات الثقافية العالمية".

ونذكر أن يحيى يخلف حصل على جائزة ملتقى الرواية العربية في دورته السابعة التي أقيمت في القاهرة في الفترة من 20 إلى 24 أبريل تحت عنوان "الرواية في عصر المعلومات"، دورة

أحمد دجور، رشاد أبو شاور، أحمد حرب، أحمد رفيق عوض، حسن حميد، غريب عسقلاني، إبراهيم نصر الله، يحيى يخلف، ليانة بدر، ربيعي المهون، سحر خليفة، عز الدين المناصرة، مريد البرغوثي، إسماعيل شموط، والقائمة تطول.

وأوضح أن جيله أعاد تأسيس الرواية الفلسطينية، وطورها بحسب الناقد فيصل دراج، فمألت المشهد الثقافي العربي والإنساني، وبعدها ظهرت أجيال جديدة.

### تنوع ثقافي

وقال يخلف "الثقافة الفلسطينية بشكل عام، والرواية الفلسطينية بشكل خاص، منفتحة على التنوع الثقافي،

كثقافتنا ويدخل الرواية الفلسطينية بوابة الإبداع، وقبل أن يقدم جبرا إبراهيم جبرا رواياته التي توفرت بها عناصر فنية عالية، ومن بعده يظهر إميل حبيبي برأئعه "الوقائع الغريبة في حياة سعيد أبو النخس المتشائل".

ونذكر أن ذلك تزامن مع ظهور قامات وتالقها في مجالات الأدب والفنون في داخل الأرض المحتلة وخارجها، ومنها محمود درويش، سميح القاسم، راشد حسين، توفيق زياد، توفيق فياض، محمد علي طه، حنا أبو حنا، معين بسيسو، إيوارد سعيد، إبراهيم أبو بلعد،

يبقى السؤال المكرر دائما حول الريادة الروائية على المستوى العربي. وإن كان موضوع الريادة في حد ذاته أمرا جانبا، فإن في الجدل حوله إفادة هامة، لاكتشاف أسماء ونصوص روائية أخرى غير المكرسة، وإثباتا لأن الأدب والثقافة ليسا حكرا على قطر عربي بعينه.

رام الله - أكد الروائي الفلسطيني يحيى يخلف، ريادة فلسطين عربيا في مجال الرواية، حيث أن أول رواية فلسطينية، وهي رواية "الوارث" لخليل بيدس، صدرت بالتزامن مع صدور أول رواية عربية، وهي رواية "زينب" للاديب المصري محمد حسين هيكل، في أوائل القرن العشرين.

جاء ذلك خلال ندوة عقدت ضمن فعاليات ملتقى فلسطين الثاني للرواية العربية، حيث أشار يحيى يخلف الفائز بجائزة ملتقى القاهرة الدولي للرواية العربية في دورته الأخيرة، إلى أن رواية "الوارث" اتخذت من شخصيات يهودية وشخصية عربية مادة روائية لها، واتخذت من القاهرة مكانا لأحداثها، وأعدت تدوير شخصية "شيلوك" في مسرحية "تاجر البنديقية" لشكسبير بنسخة عربية، بحسب ما نشر على منصة الملتقى عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

### مذكرات دجاجة

قال يحيى يخلف الذي سبق له أن تولى منصب وزير الثقافة في حكومة السلطة الوطنية الفلسطينية، إنه نظرا إلى أن الفن الروائي العربي كان مستجدا، فقد صدرت الرواية الفلسطينية الثانية عام 1943، على يد الكاتب المقدسي إسحق موسى الحسيني بعنوان "مذكرات دجاجة"، عن دار المعارف بالقاهرة، وقدم لها طه حسين واثنى عليها. وأضاف "سيمر زمن طويل قبل أن يظهر رائد الرواية الفلسطينية غسان



## راشد الخضر شاعر عاش العزلة لأجل قصيدته

الوقت (منتصف القرن الماضي)، وابتكاره القوافي الصعبة، والإشتقاقات اللغوية، واستخدام الرموز بكل أبعادها التاريخية والمكانية والأسطورية والدينية. وهي العناصر التي شغلت الباحث في هذا الكتاب ومحاوره أكثر مما شغلته حياة الشاعر الخاصة وتفصيلها، باستثناء موضوعه واحدة هي

من الأهمية بحيث كانت عصب التجربة الشعرية، وهي العزلة الدائمة من الطفولة حتى الوفاة. عزلة الشاعر والإنسان بلا زوجة خاصة وتقليدية، لقد قضى عمره يغازل الخيال ويكتب عنه وله قصائد.

يذكر أن مؤيد الشيباني باحث وشاعر وإعلامي عمل نحو 40 سنة في المؤسسات الثقافية الإماراتية والخليجية. له في مجال الأبحاث والإعداد والتنسيق والإشراف أكثر من خمسة آلاف ساعة تلفزيونية لقنوات إماراتية وعربية، توزعت على برامج ثقافية وتراثية واجتماعية.

### الباحث مؤيد الشيباني يكشف جوانب من حياة الشاعر الإماراتي راشد الخضر ويوثق لقصائده التي عاش ومات لأجلها

ويأتي هذا الكتاب الذي حمل الرقم 24 في سلسلة "أعلام من الإمارات" استكمالا للمشروع الذي أطلقته مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية عام 2012 ليوثق سيرة شخصيات إماراتية تركز بصمتها على المشهد الثقافي الإماراتي.

في كتابه الجديد بعنوان "راشد الخضر، خمس وسبعون عزلة مع الشعر 1905 - 1980" يرصد الباحث مؤيد الشيباني جوانب من حياة راشد الخضر ويوثق لقصائده، مقدما قراءة شاملة للكثير من المعاني التي سطرها الشاعر، مستعينا في بحثه بمصادر مختلفة لتأكيد ما ذهب إليه من تحليل لشعر الخضر.

وأكد الشيباني في بداية كتابه الصادر حديثا عن مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية ضمن سلسلة أعلام من الإمارات، أن راشد الخضر شاعر يصعب تعريفه في الذاكرة الشعرية الإماراتية. مضيفا "إنه بعد تجديدي صريح وثابت في القصيدة الشعبية، ملا سنوات عمره خلال ثلثي القرن الماضي (1905 - 1980) بالشعر، وليس غير الشعر؛ فهل كان يعلم بما سنقوله من بعده بعشرات السنين؟ هذا هو ديوانه الذي نحاول قراءته والغوص فيه لاستخراج لآلئ خياله، وهي كثيرة وممكنة في أول نزول للبحر، فكيف الحال عندما نبدأ بملاسة الأعماق؟".

ولفت الباحث إلى أن الشاعر الخضر كان طيلة حياته منصرفا بصدق وغبوية إلى قصيدته وليس بقصد متعمد، إذ كان يمارس تلقائيتها، وينتج ما ليس ينتظره. وذكر الباحث في كتابه بالرواة والجامعين والباحثين الذين استطاعوا جمع ديوان راشد الخضر بين دفتي كتاب، ويخص بالذكر الباحث والشاعر الراحل حمد خليفة أبو شهاب، الذي منه بدأت معرفته بالخضر، وبسببه تعاضم البحث والسؤال عنه إلى درجة الجراة بأن يصير ذلك الإعجاب إلى كتاب.

ويرى الشيباني أن راشد الخضر يملك قيمة إبداعية عالية تتلخص في اشتغاله التلقائي على تجديد المضامين في ذلك

جيوغرافي بذلك، بل أطلق مكتبة افتراضية على النيت، يمكن للقارئ أن يتنقل افتراضيا بين طوابقها وأجنحتها، والولوج إلى كتبها.

### ظاهرة الكتب الوهمية المتخيلة والاهتمام بها ليست أمر جديد فهناك من تخيل كتبا أو مكتبات وكتابا

وسيليه بعد سنوات كتاب آخر للباحث الفرنسي ستيفان ماهيوت، "المكتبة الخفية: فهرس الكتب المتخيلة"، والذي خصه صاحبه لخصر ما يناهز الألف وخمسةمئة كتاب متخيل. والأكيد أن ظاهرة الكتب المتخيلة والاهتمام بها ليست أمرا جديدا، على الأقل على المستوى الغربي. ولعل أول من انتبه إلى الظاهرة هو عالم الجيولوجيا الفرنسي كوستاف بروني، الذي كان قد أصدر دراستين مثيرتين في نهايات القرن التاسع عشر، وهما متاحتان على موقع غاليليا التابع للمكتبة الوطنية الفرنسية والخاص بالكتب المرفقة. الأولى هي "الخيال الجيولوجي"، والثانية هي "دراسة حول المكتبات المتخيلة". وسنكتشف مع كوستاف بروني كيف كان الفرنسيون والبلجيكيون يصنعون آلاف العناوين من الكتب المتخيلة، من باب التهمك من رجالات السياسة والكتاب المحافظين و"المحتلن".

وفي جميع الأحوال، تلك صورة عن اهتمام الغرب بالتفاصيل الصغيرة والمثيرة، في الوقت الذي يغرقنا النقد العربي بحملاته المتتالية على مستوى تفكيك النصوص، كما لو أننا في حرب.

## كُتب لم يكتبها أحد

الرسوم المتحركة أو غيرها من الأعمال، بشكل يجعلنا أمام مكتبات كبرى متخيلة، لا توجد إلا من خلال عناوينها المختلفة، وتبدو النماذج في هذا الإطار عديدة، ابتداء من فرانسوا روبالي في كتابه "السيدة دي مونيسيبي"، ومرورا ببالزاق في "أوهام ضائعة"، وغيوم أبولينير في "الشاعر القليل"، وإيوارد بوردت في كتابه "صدر حديثا"، وجورج بيريك في "الحياة دليل الاستعمال"، وأمبرتو إيكو في "اسم الوردة" وغيرهم. أما خورخي لويس بورخيس فلم يكتب بخلق عناوين لكتب ما، بل ذهب، في نصه الشهير "مكتبة بابل"، إلى حد تخيل مكتبة ضخمة، تضم عددا لا ينتهي من الكتب، لها نفس الأحجام وعدد الصفحات وعدد الأسطر، وحيث طول رفوف الكتب يعلو الكون بمرتين.

وستكون مكتبة بورخيس المتخيلة وتأسيسها على موضوع اللانهاية وراء عدد هام من الأبحاث المرتبطة بمجال المعلومات، ومن ذلك كتاب "فكرة داروين الخطيرة" للفيلسوف الأمريكي دانييل دنيت، أما الباحث جونا باسقل فسيطحي حياة جديدة لمكتبة بابل المتخيلة من طرف بورخيس، حيث أطلق مكتبة افتراضية على النيت، تقوم على خوارزمية تمكن من خلق جميع التركيبات الممكنة انطلاقا من حروف اللغة اللاتينية. قبل عشرين سنة، أقدم الباحث الفرنسي جاك جيوغرافي على إصدار كتابه المثير "الف كتاب وكتاب متخيل"، والذي يحصر متنا كبيرا لكتاب اختاروا، كل بطريقة، لعبة اختلاق الكتب. ولم يكتب جاك

إيزيس كوبيا"، مع تحقيق روز خليل والراوي ياسين الأبيض.

استطاع واسيني الأعرج بذكاؤه أن يخلق نصا مدهشا قد يشعر القارئ أنه أمام نص حقيقي لمي زيادة، مستمترا كثيرا من التفاصيل المتخيلة، ومن ذلك شخصية رفيقته في الرحلة روز خليل، التي لم أعثر شخصا على أي معلومات عنها على موقع جامعة مونتريال، وإن كنت أعرف مسبقا أنها شخصية

مختلفة. والحقيقة أن لعبة اعتماد المخطوطات المتخيلة في كتابة نصوص روائية ما تغري الكثيرين. وأستحضر هنا، على مستوى السياق الروائي العربي، على سبيل المثال، رواية "تغريبة العبدى" للمغربي عبد الرحيم حبيبي.

وكان الراوي قد اقتنى نصا مخطوطا ينتمي إلى أدب الرحلات، بأحد أسواق المتلاشيات والمواد المهزلة والمستعملة بمدينة أسفي، وهو المخطوط الذي ألفه، حسب متخيل الراوي، فقيه اسمه العبدى. أما قوة العمل فتكمن في تمكن الروائي عبد الرحيم حبيبي من كتابة نص المخطوطة المتخيلة، بشكل يتماهى مع لغة وطريقة كتابة نص يُفترض أنه كتب من طرف فقيه، خلال بدايات القرن العشرين.

وإلى جانب النمذجين، يبدو أن اختلاق المخطوطات بشكل ظاهرة مشتركة على المستوى الإنساني. ولا تقف اللعبة هنا، بل تذهب إلى حد اصطلاح كتب لا وجود لها إلا في الإشارات داخل النصوص الروائية أو المسرحيات أو



حسن الوزاني كاتب مغربي

في روايته "اليالي إيزيس كوبيا: ثلاثمئة ليلة و ليلة في جحيم العصفورية"، يحرص واسيني الأعرج، منذ البداية، على توضيح ملامح الشخصية التي يبحث عن مخطوطة "اليالي العصفورية"، وتبدأ الرحلة، التي استمرت ثلاث سنوات، مع فكرة إنجاز شريط وثائقي عن مي زيادة، كان يُحضر له الراوي، الذي كان يعمل في المكتبة الوطنية الفرنسية-فرانسوا ميتران، رفقة الباحثة روز خليل، المتخصصة في الدراسات النسوية العربية بمونتريال. وستقتضي الرحلة منهما خوض مسارات عديدة، ومن ذلك زيارة مستشفى العصفورية، حيث قضت مي زيادة أسوء أيامها، وأيضا مستشفى نيوقولا رابز، حيث أمضت فترة استراحة بعد خروجها من المستشفى العقلي السابق. كما كان عليهما الالتقاء بعدد من الشخصيات التي ربطتها علاقات بعائلة مي زيادة، وأيضا التنقل بين مدن العالم، بحثا عن أثر ما لمي، ابتداء من بيروت، ومرورا بالقاهرة وروما وبرلين ولندن وفيينا وباريس وانتهاء بمدينة الناصرة.

ولم تكن الرحلة بعيدة عن المخاطر، بل كادت تكون وراء حتفهما، إذ شاء القدر أن يكون الراوي وروز خليل الوجوديين اللذين استطاعا النجاة بعد سقوط الطائرة المصرية التي كان يفترض أن نقلهما من باريس إلى القاهرة، وذلك بعد أن كانت روز قد أجلت السفر قبيل انطلاق الطائرة. أما الرحلة فستنتهي باكتشاف المخطوط، في نسخته الأصلية، وأيضا في طبعته المصورة من طرف المكتبة الوطنية الفرنسية ومختبر الأبحاث الأنتروبولوجية والأدبية في مونتريال. وهو النص الذي سيحتل كتاب "اليالي

